الولاية التكوينية

الولاية التكوينية

-- محمد حسين آل هويدي

بسم الله الرحمن الرحيم - قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ «٤٠» – صدق الله العلي العظيم – النمل.

لنفرض أن س = ص وأن أ = ب. رياضيا لا نستطيع أن نقول س = ب بما أن س = ص لعدم وجود أي علاقة بين هذه المتغيرات، وقد يجادل البعض أنه في حالة س = أ فإن س = ب، ولكن هذه حالة شرطية وشاذة أيضا لأنه وعلى خط الأعداد هناك فرصة واحدة فقط لأن تكون س تساوي أ بينما هناك عدد لا متناهٍ من الأرقام عندما لا تتساوي قيمتي أ و س. وهكذا يفكر الرياضيون الذين يبنون استنتاجاتهم على الراجح وليس على الشاذ.

الولاية التكوينية نظرية يؤمن بها أكثر الشيعة، وهي قدرة النبي محمد (ص) أو أحد أفراد عترته من الأئمة (ع) على التصرف في الكون كيفما يشاؤون، وهذه تبقى مجرد نظرية قابلة للأخذ والرد وعصية على الإثبات في وقتنا الحالي، وهناك أيضا نظريات مشابهة عند الشيعة مثل ولاية الفقيه أو وجوب التقليد وغيرهم وهذه من الأمور التي يختلف عليها أساسا فقهاء الشيعة ومنها يختلف العوام على حسب ميولاتهم وعلى من يرتضون أو يسخطون ولكن دون علم لأن مثل هذا النوع من الجماهير يقولون إنهم لا يعلمون ولذلك يسلمون رقبتهم لعالم يعلم، ولكن من أين أتى لهم العلم لأن يرجحوا قول فقيه على آخر لدرجة شن الحروب الإعلامية والكلامية في بعض الأحيان؟!

يستند المؤيدون على الولاية التكوينية من قدرة آصف من برخيا عندما أحضر عرش بلقيس في لمح البصر، والله لم يقل إن آصف عنده قدرة تكوينية ولكن وصفه بأن عنده علم من الكتاب، والإشارة للعلم واضحة الدلالة ولا وجود لأي إشارة أو تلميح على قدرة تكوينية. ولو افترضنا أن آصف امتلك هذه القدرة

التكوينية، هذا الافتراض لا يمكن إسقاطه على غير آصف لأننا سنعود للمسألة المطروحة وهي هل س = ب كون س = ص ولا نعلم ما علاقتها بـ أ؟!

أنا لا رأي لي في هذه القضية وأظن أنه غير مهم ولن يغيّر الواقع؛ نعم أؤمن بأفضلية محمد (ص) وآله ودليلي القوي في الوقت الراهن هو القرآن كما أوصى الرسول (ص) مع غياب الثقل الثاني عن مجال التعاطي حيث تبقى الروايات محل أخذ ورد حتى من قِبَلِ المتخصصين في هذا الأمر، ولا يمكن للرواية أن تساوي الآل (هل يقبل الشيعة أن يساوي السنة الرسول –ص– بالحديث؟) كما يحاول أن يروج البعض وهذا غير ممكن أصلا لأن إشكال الشيعة على "كتاب ا وسنتي" أن الكتاب قول والسنة قول قد يشوبها الخطأ البريء أو المتعمد، ومنها وجب علينا جميعا عرض أي رواية على القرآن كما أوصى أهل البيت (ع) أنفسهم حيث قال الإمام جعفر الصادق (ع): "سيتقول عنا الأقاويل ... اعرضوا ما أتاكم عنا على كتاب ا فخذوا به إن وافقه أو اضربوا به عرض الجدار". وكذلك هناك ضابطة قرآنية لقبول الرواية أو رفضها حسب ما أتى في الآية ١٨ من سورة الزمر: (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ). وفي وقتنا الراهن يمكننا أيضا أن نستخدم العلم للتحقق من صحة هذه الروايات لأنه من المستحيل أن يتعارض كلام لمعصوم مع العلم الثابت وإلا سقطت عصمته، فمن غير اللائق والمعقول أن نضحي بشخص الإمام لأجل رواية، وهذا حديث يطول ويتشعب ولا نريد أن نفتح أبوابه من كل جانب.

قد تكون هناك اختلافات في تصوّر الخالق عزّ وجلّ بين الناس. هناك من يعتقد أن ا أعلم الأعلمين وخلق كل شيء بعلمه وبدقة متناهية لا يمكن أن يصيبها الخلل ولو بمقدار ضئيل كما هو الحال مع الثوابت في هذا الكون ومنها الثابت الكوني التي تصل درجة دقته إلى ٥٢ خانة فلو اختلفت الخانة ٥٢ بمقدار واحد في الزيادة لانكمش الكون على بعضه ولو نقص بمقدار واحد فقط بعد هذه الخانة لتبعثر الكون، وفي كلتا الحالتين لا يتكون أيّ كون. وقد أودع ا جزءا من علمه في هذا الكون فمن عباده من ورثه ومنهم من اكتسبه، وهذا ما يشير ا إليه بخصوص آصف والذي لا نعلم كيفية صيرورة هذا العلم، وراثة أو اكتساب وهذا ليس هو المهم، ولكن الذي نعرفه ومن صريح الآية أن آصف استطاع نقل عرش بلقيس بالعلم. هناك فريق آخر يظن أن ا كيانا يمتلك عصا سحرية (إن صحّ المجاز) وأخذ هذه العصا ويشير بها إلى الأشياء ليخلقها وبعد إتمام الخلق أخذ أجزاء من هذه العصا ووزعها على بعض من خلقه ليفعلوا في هذا الكون ما يشاؤون.

سأذكر قصة مجازية لتوضيح الغرض. لنفرض أن هناك سباق لدراجات هوائية فأحضر الجميع دراجاتهم

استعداد للسباق وبما أن ربّ السباق يحب متسابقين دون غيرهم قام وأهداهم درّاجات تعمل بالطاقة الميكانيكية وبها محركات. من المؤكد أن من يمتلك الدراجة الآلية سيفوز، ولكن هل فوزهم هذا انعكاس لأفضليتهم؟ واقعا، الناس (المتسابقون والجمهور) سيتذمرون ويرفضون هذا الانحياز الفجّ، فيصر ربّ السباق على أفضلية المتسابقين ذوي الدراجات السحرية ويفرض هذه الأفضلية على الجميع ومن عصى يحكم عليه بالعصا!

هذه القصة المجازية تعكس تصور الخالق (رب السباق) وأهل البيت (ذوي الدرّاجات المميزة) عند البعض. واقعا، هذا تصور غير منطقي إذ يعكس انحياز الله سبحانه (وهو أعدل العادلين) لمجموعة من خلقه لا يمتلكون الأهلية الكافية لذلك أعطاهم جزءا من قدرته لكي يثبت هؤلاء أهليتهم؟!

أظن أننا بحاجة إلى تصحيح بعض المفاهيم كي لا نسيء لله سبحانه وتعالى ونتهمه ضمنا بالانحياز وكذلك لكيلا نستنقص أيضا من قدرات ومؤهلات أهل البيت (ع) لتجبر الله أن يعطيهم أدواتا تكوينية لا يمتلكها غيرهم وبذلك نصوّر أن كينونتهم البشرية لا تؤهلهم لأن يكونوا الأفضل وهذا ما اضطر الله أن يتدخل ليغطي هذا النقص. كيف يكونون هم الأفضل والأجدر إذا أعطاهم الله قوى خارقة لا يمتلكها سواهم؟ أين الجدارة؟

لنفرض أن س = ص وأن أ = ب. رياضيا لا نستطيع أن نقول س = ب بما أن س = ص لعدم وجود أي علاقة بين هذه المتغيرات، وقد يجادل البعض أنه في حالة س = أ فإن س = ب، ولكن هذه حالة شرطية وشاذة أيضا لأنه وعلى خط الأعداد هناك فرصة واحدة فقط لأن تكون س تساوي أ بينما هناك عدد لا متناهٍ من الأرقام عندما لا تتساوي قيمتي أ و س. وهكذا يفكر الرياضيون الذين يبنون استنتاجاتهم على الراجح وليس على الشاذ.

الولاية التكوينية نظرية يؤمن بها أكثر الشيعة، وهي قدرة النبي محمد (ص) أو أحد أفراد عترته من الأئمة (ع) على التصرف في الكون كيفما يشاؤون، وهذه تبقى مجرد نظرية قابلة للأخذ والرد وعصية على الإثبات في وقتنا الحالي، وهناك أيضا نظريات مشابهة عند الشيعة مثل ولاية الفقيه أو وجوب التقليد وغيرهم وهذه من الأمور التي يختلف عليها أساسا فقهاء الشيعة ومنها يختلف العوام على حسب ميولاتهم وعلى من يرتضون أو يسخطون ولكن دون علم لأن مثل هذا النوع من الجماهير يقولون إنهم لا يعلمون ولذلك يسلمون رقبتهم لعالم يعلم، ولكن من أين أتى لهم العلم لأن يرجحوا قول فقيه على آخر لدرجة شن الحروب الإعلامية والكلامية في بعض الأحيان؟!

يستند المؤيدون على الولاية التكوينية من قدرة آصف من برخيا عندما أحضر عرش بلقيس في لمح البصر، وا لم يقل إن آصف عنده قدرة تكوينية ولكن وصفه بأن عنده علم من الكتاب، والإشارة للعلم واضحة الدلالة ولا وجود لأي إشارة أو تلميح على قدرة تكوينية. ولو افترضنا أن آصف امتلك هذه القدرة التكوينية، هذا الافتراض لا يمكن إسقاطه على غير آصف لأننا سنعود للمسألة المطروحة وهي هل س = ب كون س = ص ولا نعلم ما علاقتها بـ أ؟!

أنا لا رأي لي في هذه القضية وأظن أنه غير مهم ولن يغيّر الواقع؛ نعم أؤمن بأفضلية محمد (ص) وآله ودليلي القوي في الوقت الراهن هو القرآن كما أوصى الرسول (ص) مع غياب الثقل الثاني عن مجال التعاطي حيث تبقى الروايات محل أخذ ورد حتى من قِبَلِ المتخصصين في هذا الأمر، ولا يمكن للرواية أن تساوي الآل (هل يقبل الشيعة أن يساوي السنة الرسول –ص– بالحديث؟) كما يحاول أن يروج البعض وهذا غير ممكن أصلا لأن إشكال الشيعة على "كتاب ا وسنتي" أن الكتاب قول والسنة قول قد يشوبها الخطأ البريء أو المتعمد، ومنها وجب علينا جميعا عرض أي رواية على القرآن كما أوصى أهل البيت (ع) أنفسهم حيث قال الإمام جعفر الصادق (ع): "سيتقول عنا الأقاويل ... اعرضوا ما أتاكم عنا على كتاب ا فخذوا به إن وافقه أو اضربوا به عرض الجدار". وكذلك هناك ضابطة قرآنية لقبول الرواية أو رفضها حسب ما أتى في الآية ١٨ من سورة الزمر: (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ). وفي وقتنا الراهن يمكننا أيضا أن نستخدم العلم للتحقق من صحة هذه الروايات لأنه من المستحيل أن يتعارض كلام لمعصوم مع العلم الثابت وإلا سقطت عصمته، فمن غير اللائق والمعقول أن نضحي بشخص الإمام لأجل رواية، وهذا حديث يطول ويتشعب ولا نريد أن نفتح أبوابه من كل جانب.

قد تكون هناك اختلافات في تصوّر الخالق عزّ وجلّ بين الناس. هناك من يعتقد أن ا أعلم الأعلمين وخلق كل شيء بعلمه وبدقة متناهية لا يمكن أن يصيبها الخلل ولو بمقدار ضئيل كما هو الحال مع الثوابت في هذا الكون ومنها الثابت الكوني التي تصل درجة دقته إلى ٥٢ خانة فلو اختلفت الخانة ٥٢ بمقدار واحد في الزيادة لانكمش الكون على بعضه ولو نقص بمقدار واحد فقط بعد هذه الخانة لتبعثر الكون، وفي كلتا الحالتين لا يتكون أيّ كون. وقد أودع ا جزءا من علمه في هذا الكون فمن عباده من ورثه ومنهم من اكتسبه، وهذا ما يشير ا إليه بخصوص آصف والذي لا نعلم كيفية صيرورة هذا العلم، وراثة أو اكتساب وهذا ليس هو المهم، ولكن الذي نعرفه ومن صريح الآية أن آصف استطاع نقل عرش بلقيس بالعلم. هناك فريق آخر يظن أن ا كيانا يمتلك عصا سحرية (إن صحّ المجاز) وأخذ هذه العصا ويشير بها إلى الأشياء ليخلقها وبعد إتمام الخلق أخذ أجزاء من هذه العصا ووزعها على بعض من خلقه ليفعلوا في هذا الكون ما يشاؤون.

سأذكر قصة مجازية لتوضيح الغرض. لنفرض أن هناك سباق لدراجات هوائية فأحضر الجميع دراجاتهم استعداد للسباق وبما أن ربّ السباق يحب متسابقين دون غيرهم قام وأهداهم درّاجات تعمل بالطاقة الميكانيكية وبها محركات. من المؤكد أن من يمتلك الدراجة الآلية سيفوز، ولكن هل فوزهم هذا انعكاس لأفضليتهم؟ واقعا، الناس (المتسابقون والجمهور) سيتذمرون ويرفضون هذا الانحياز الفجّ، فيصر ربّ السباق على أفضلية المتسابقين ذوي الدراجات السحرية ويفرض هذه الأفضلية على الجميع ومن عصى يحكم عليه بالعصا!

هذه القصة المجازية تعكس تصور الخالق (رب السباق) وأهل البيت (ذوي الدرّاجات المميزة) عند البعض. واقعا، هذا تصور غير منطقي إذ يعكس انحياز الله سبحانه (وهو أعدل العادلين) لمجموعة من خلقه لا يمتلكون الأهلية الكافية لذلك أعطاهم جزءا من قدرته لكي يثبت هؤلاء أهليتهم؟!

أظن أننا بحاجة إلى تصحيح بعض المفاهيم كي لا نسيء لله سبحانه وتعالى ونتهمه ضمنا بالانحياز وكذلك لكيلا نستنقص أيضا من قدرات ومؤهلات أهل البيت (ع) لتجبر الله أن يعطيهم أدواتا تكوينية لا يمتلكها غيرهم وبذلك نصوّر أن كينونتهم البشرية لا تؤهلهم لأن يكونوا الأفضل وهذا ما اضطر الله أن يتدخل ليغطي هذا النقص. كيف يكونون هم الأفضل والأجدر إذا أعطاهم الله قوى خارقة لا يمتلكها سواهم؟ أين الجدارة؟